



جامعة سوهاج

بالاشتراك مع



جمعية الثقافة من أجل التنمية

مستقبل النقد الأدبي و فاعلية مناهجنا التعليمية

دراسة تطبيقية على مناهج المرحلة الابتدائية

د/مصطفى عبد العاطى غنيمى
المدرس بكلية اللغة العربية
جامعة الأزهر بالقاهرة
قسم الأدب والنقد

د/مصطفى رجب سالم عبد العال
رئيس مجلس قسم المناهج وطرق التدريس
وتكنولوجيا التعليم بتربية العريش
جامعة قناة السويس

يشكل النقد الأدبي - بما له من دور أساسي في اختيار النصوص وتقويمها - دوراً أساسياً في فاعلية منهج اللغة العربية بصفة عامة والقراءة والنصوص الأدبية منها بصفة خاصة، ولا شك أن العولمة بما لها من انعكاسات خطيرة على مستقبلنا الثقافي والإنساني تشكل إمتحاناً عسيراً لنصوصنا الأدبية وأفكارنا العلمية بين الدفاع عن هويتها وخصوصيتها أو الذوبان والفناء.

وإذا كان البحث عن سمات التواصل المقترح مع الآخرين، يحتم علينا التخلي عن كثير من أصولنا، ليكون الأدب أو الشعرهما القادرين على ذلك إذا ما تخلصنا في تجاربها إلا من التجربة الإنسانية الواحدة، فإن الأدب بصفة عامة والشعر بصفة خاصة في الطريق إلى الفناء والذوبان لأن التجارب الأدبية في المقام الأول تجارب شخصية ذاتية وهي وحدها القادرة على خصوبة المعاني وفاعلية الأداء في التجارب الوطنية والإنسانية يشكلان النوع الثاني من التجربة الأدبية والتواصل المزمع لا يمكن أن يلتقى مع الآخر إلا في التجربة الإنسانية وحدها، وبذا نسقط من ميراثنا الأدبي أكثر من ٩٥٪ على أسوأ تقدير لإجراء هذا التواصل.

وتبقى الدفاع عن الهوية وإثبات شخصيتنا الأدبية واللغوية والثقافية هي العصا التي يبحث عنها كل طالب منا في حاطب ليل، ويأتي دور النقد الأدبي لبيان ما إذا كانت مناهجنا قائمة على الدفاع عن هذه الهوية، أو التواصل المقترح مع الآخرين في اختيار النصوص وتقييمها للوقوف على نقاط موضوعية لمستقبل الثقافة العربية أو تعليم اللغة العربية في مدارسنا الإنسانية كما يرى المدافعون عن التواصل، أو مدارسنا القومية أو كما يرى المدافعون عن الهوية. والدراسة لا تقف من هذا ولا مع ذلك، وإنما تطرح أبعادها ومدى فاعليتها وقدرتها في رصد موضوعي، كما تحتم علينا الأمانة العلمية التي يدين لها البحث في المقام الأول.

والتعليم الابتدائي - دون شك - يشكل حجر الأساس بمناهجنا الدراسية بصفة عامة واللغة العربية ونصوصها الأدبية بصفة خاصة، فاللغة لا تعد في هذا العمر تراكمًا معرفيًا مرغوبًا لدى التلاميذ وإنما تشكل وجدانهم على الحب والكره والرغبة والنفور ويؤدى اختيار النصوص الأدبية - حين ذاك دوراً مهماً ورغبة ملحّة فى التواصل مع الآخر أو التناسق مع الروح السائدة، أو خلق دماء جديدة، ومن ثم كان اختيار هذه المرحلة التي تعد مهاداً فعلاً لكل المراحل التعليمية.

والاعتناء بدور النقد الأدبي في تفسير واختيار النصوص، يعد ضرورة لخلق الفكر الناقد لدى الطفل، فلا يمكن الوصول لهذا البعد المهارتي لدى التلاميذ دون الوقوف على جودة النصوص الأدبية ذاتها شعراً ونثراً.

ولقد تبين للباحثين من العينة المختارة، اعتماد أغلب نصوص السنة الثالثة من المرحلة الابتدائية في الإبداع الشعري على شاعر واحد مما يشكل إعاقة ذهنية لدى الطفل فصقل الوجدان على التنوع المعرفي والمراثي الفكرية يعد أساسياً في هذه المرحلة للتفكير الناضج والوعي، كما انه يشكل إعاقة حقيقية للإبداع، فالإبداع لا يمكن أن يوجد إلا عن طريق التنوع.

وخلو الشعر من الماضي القريب أو البعيد يعد كارثة أخرى فالتواصل بالماضي ضرورة للتواصل بالحاضر، إلا إذا أردنا تواصلًا فاقدًا للهوية والوعي. ولا شك أن المناهج حافلة أيضاً بكثير من النقاط الايجابية التي عالجت هذه الدراسة، فالتنوع في الموضوعات والأداء يبدو ملحوظاً على المواد الفنية المختارة.

(١) التعليم والمستقبل :

لعل مادة (علم) من المواد اللغوية الوحيدة التي نجد منها ثلاث صفات لله سبحانه وتعالى العليم والعالم والعلام، قال عز وجل : وهو الخلاق العليم، وقال: عالم الغيب والشهادة، وقال: علام الغيوب.

ويجوز أن يقال للإنسان الذي علمه الله علما من العلوم: عليم، كما قال يوسف للملك: "إني حفيظ عليم". وقال تعالى: "إنما يخشى الله من عباده العلماء"، فأخبر عز وجل أن من عباده من يخشاه، وأنهم هم العلماء... وقال بعضهم: العالم الذي يعمل بما يعلم والعلم: نقيض الجهل، علم علما وعلم (بضم اللام) هو نفسه، ورجل عالم وعليم من قوم علماء فيهما جميعا، قال سيبويه: يقول علماء من لا يقول إلا عالما. قال ابن جني: لما كان العلم قد يكون الوصف به بعد المزاولة له وطول الملابس، صار كأنه غريزة، ولم يكن على أول دخوله فيه، ولو كان كذلك لكان متعلما لا عالما^(٢١).

ومما أبداه ابن منظور في لسان العرب يتضح لنا ما يلي:

- ١- إن العلم أقرب المهن قاطبة إلى صفات الله جل في علاه.
 - ٢- أن العلم بمعنى التقويم أو التربية أو تهذيب السلوك، وبذا تكون من العلم التربية والتهذيب، وتقديم التربية على التعليم حينذاك يكون بمعنى وضع العربية أمام الحصان.
 - ٣- إن التعليم ليس المحصلة النهائية التي يقتضيها العلم، فالتعليم جزء يسير من طريق العلم، يمكن أن يناله الطالب في مرحلة أولية من مراحل، وأما المحصلة التي يهدف لها العلم تتمثل في العالم، فكل عالم متعلم، وليس كل متعلم عالما، فإذا كانت الوزارة المعنية تهدف، إلى العلم، فعليها أن تكون وزارة العلماء، وعلى كليتها المعنية أن تكون كلية العلمين. ففي ذكر الكلمتين (العلماء، المعلمين) تشخيص لروح العلم وحيويته ومن هذا التشخيص وهذه الحيوية، يخشع العالم بما يعلم، ويهابه المتعلم بما يتعلمه.
- والعلم يكون بمعنى الشعور، يقول ابن منظور: علم بالشئ شعر^(٣) ويقول تعالى:

(١) ابن منظور: لسان العرب، مادة علم.

(٢) ابن منظور: لسان العرب، مادة علم.

"وما علمناه الشعر وما ينبغي له" [يس:] ويقول صاحب اللسان أيضا: شعر به وشعر شعر.. وشعورا.. كله علم^(١)، ويقول عمر بن الخطاب: كان الشعر علم قوم لم يكن لهم علم أصح منه^(٢).

وكان الناقد الأدبي يسمى بالعالم يقول ابن سلام: وفي الشعر مصنوع مفتعل موضوع كثير لا خير فيه... وقد تداوله قوم من كتاب إلى كتاب وليس لأحد. إذا أجمع أهل العلم والرواية الصحيحة على إبطال شئ منه – أن يقبل من صحيفة ولا يروي من صحفي. وقد اختلف العلماء بعد في بعض الشعر كما اختلفت في سائر الأشياء^(٣).

ولقد وردت كلمات العلم والعلماء والمعلم في القرآن الكريم وفي أحاديث النبي ﷺ وفي ميراثنا الشعري الحصيف بما يجعل لهذه الكلمة شخوصا في ماضينا، ولا شك أن إبراز هذه الأسماء، فيما نوهنا عليه من قبل، يجعل التفاعل وثيقا بين الماضي والحاضر، وإذا كان شة تفاعل في أمة بين ماضيها وحاضرها، عرفت الطريق السديد إلى المستقبل.

ولقد صار الربط بين المستقبل والتعليم أكثر من ضرورة في الوقت الحاضر، لاسيما بعد تشيخ الغرب للعولة، وتعلق البعض بها في العقود الثلاثة الأخيرة من القرن الماضي "فالعولة ليست مجرد حركة السلع أو قرب المسافات وغياب الحدود، ولكنها سعي نحو ثقافة واحدة أو شاملة، يمكن من خلالها تعزيز عالمية الاقتصاد والإعلام.

وهكذا يمكن أن تنعكس المسألة تماما، وتكون الأولوية للثقافة باعتبارها العامل الحاسم وتبقى عوامل الاقتصاد ثانوية حيث تساعد على تصميم ثقافة كونية.. إذ يفترض وجود ثقافة ذات منحى إنساني عام تتطور في اتجاه عولة شاملة^(٤).

(١) ابن منظور: لسان العرب، مادة شعر.
(٢) ابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠١م، ص ٢٤.
(٣) المرجع السابق ص ٤.
(٤) د. حيدر إبراهيم: العولمة وجدل الهوية الثقافية، عالم الفكر، م ٢٨ عدد ٢، سنة ١٩٩٩م، ص ٩٧.

ويرى باحثون أن العولمة لا تهدد الهوية أو الهويات الثقافية بالفناء أو التدويب، بل تعيد بتشكيلها أو حتى تطويرها لتتكيف مع الحاضر فالإنسان الآن يتجه نحو إمكانية أن تعيش بهويات متعددة، ولدينا نموذج المهاجرين^(١).

وإن صح هذا الرأي، فيكون هؤلاء المهاجرون هم وحدهم القادرين على تشكيل هذه الروح بشكل أو بآخر، وعلى الفرضين السابقين فإن الثقافة الوطنية الأصيلة أمام محك أو صدام لإثبات قدرتها على الحياة أو استحقاق التلاشي والفناء، ولا شك أن التعليم، يقع على القائمة الأولى للروافد الثقافية، فالتعليم الآن يقوم "في المدارس والجامعات على الحفظ: يحفظ الموروث أنا ويحفظ الوافد من الغرب أنا آخر، أما أن يبتكر، أما أن يشارك في موكب الحضارة، فهذا لم يحدث بالنسبة التي كان لابد لها للعربي، لكي يتكافأ مع تاريخه وحضارته ومجده وعظمته إنني أو من إيماننا شديدا أنه لابد من تضافر جهود الأدياء والمفكرين وأهل القدرة على التفكير في وضع صيغة للعربي^(٢).

ولاشك أن اللغة العربية تأتي في الصدارة في قائمة التعليم لا بسبب أن اللغة النواة الأولى لتشكيل روح الهوية الواعية فحسب، وإنما بسبب أن اللغة تعد مكنن الروح والقلب للأمة "ولما كانت اللغة بمنزلة مكنن الروح والقلب للأمة، يترتب على كل أمة أن تتمسك بلغتها الخاصة تمسكها بحياتها، والتمسك باللغة، يجب أن يكون واجبا وحقا في وقت واحد، ويترتب على الدولة التي ترعى شؤون الشعوب أن تحترم هذا الحق، فلا تحاول منع شعب من الشعوب من استعمال هذا الحق، والتمسك بلغته الخاصة^(٣).

(٢) المناهج التعليمية والنقدية :

سئل أحد السياسيين عن رأيه في مستقبل أمة، فقال: ضعوا أمامي مناهجها في الدراسة أنبئكم بمستقبلها^(٤).

(١) المرجع السابق، ص ١٠٤.
(٢) انظر: د. حسام الخطيب: أي أفق للثقافة العربية، أدبها في عهد الاتصال والعولمة، عالم الفكر، م ٢٨٨ عدد ٢، سنة ١٩٩٩، ص ٢٣٨.
(٣) ساطع الحصري: أبحاث مختارة في القومية العربية، دار المستقبل العربي، سنة ١٩٨٥، ص ٢١١.
(٤) عبد العليم إبراهيم: الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية، دار المعارف، ط ٥، سنة ١٩٧٠م، ص ٣١.

ومن هنا يأتي أهمية المناهج الدراسية، فهي مناط تقدم الأمة ومناط تخلفها فالبحث فيها جزء لا يتجزأ في البحث عن أسباب التخلف وأسباب التقدم أيضاً. وهناك مناهج عامة ينفرد فيها كل أبناء الإقليم دون استثناء، وهي المناهج التي توثق عرى الانتماء نحو الوطن، وتبني في التلميذ دافع الرغبة في العلم والانتماء إلى أبنائه وذويه، والأسس العلمية في مجال أو مادة دراسية التي لا يمكن للطلاب الاستغناء عنها، ولا شك تحديد الغرض من التعليم هو الأساس الذي يقوم عليه المناهج "فالغرض من التعليم في المدن الساحلية، قد يختلف عن الصحراوية، وعن المدن الصناعية وعن البيئة الزراعية"^(١) وهذا التنوع يأتي في الحقيقة من الأغراض التي يؤمن بها البعض للتعليم فهناك من يرى أن التعليم يرمي إلى "تنمية القوى الكامنة في الفرد إلى أقصى حد (أو) تكون الأخلاق أو كسب الرزق أو تحصيل المادة العلمية والتمكن منها أو غير ذلك من الأهداف الجزئية"^(٢).

وعلى أهمية وضرورة هذه الأهداف، فإن تقدم الأمة ورفيها الذي هو جزء لا يتجزأ من رقي أفرادها ورفيهم، هو الأساس الاسمي الذي يجب أن نتسلح به في مواجهة أنفسنا قبل مواجهة غيرنا.

وقد يكون من الصعوبة أن نفرص بين اللغة العربية والعلوم الأخرى كل الانفصال "فقد ثبت بالتجارب والمشاهدات أن تقدم التلاميذ في اللغة العربية يساعدهم على التقدم في كثير من العلوم التي تعتمد في تحصيلها على القراءة والفهم، فالتلميذ السريع القراءة يستطيع أن يستوعب ما يراد تحصيله في سرعة وسهولة، والتلميذ المتمكن من اللغة يفهم ما يقرأ بسرعة، فيساعده هذا على الإلمام بما يقرأ من المواد الأخرى. وكثيراً من الموضوعات الدراسية، يمكن اتخاذها أساساً لدراسات لغوية.. فعلى مدرسي اللغة العربية أن يطلعوا

(١) المرجع السابق، ص ٣١.
(٢) د. فاروق حسن ريان: التدريس أهدافه أسسه أساليبه تقويم نتائجه وتطبيقاته، عالم الكتب، ط ٢، ص ١٩٧١، ص ١٨.

على مناهج هذه المواد، ويتخبروا منها ما يصلح للدراسات اللغوية^(١). وهذا يعد أسلوباً من أساليب تطور اللغة وعدم انفصالها عن الحياة.

وعلى وجود هذه الصلات بين اللغة العربية والمواد الدراسية الأخرى، فإن الصلة بين فروع اللغة العربية من مطالعة ونحو وإملاء وإنشاء وخط ودراسات أدبية، تبدو جوهرية ومن مزايا توكيد الصلة بين فروع اللغة العربية ما يأتي^(٢):

١- أن يشعر التلميذ بأن اللغة وحدة متألّفة العناصر، متكاملة الأجزاء، وبهذا لا يتهياً اتساعها ونموها.

٢- دفع السأم والملل على التلاميذ أثناء الدروس، وبخاصة تلاميذ الفرق الصغيرة.

٣- إتقان التلاميذ فروع اللغة بطريقة طبيعية تسير وظيفة اللغة واستعمالها.

ويأتي النقد الأدبي ليشكل جوهر وفاعلية الصلات بين فروع اللغة العربية، فالتقويم يرصد عوامل قوة اللغة وضعفها، وفلسفة اختيار النصوص وأهدافها وأسلوب تناولها والتمايز بين المكان والزمان في هذا الاختيار بين عصور القوة لدى الأدباء وعصور الضعف وأماكن الحضر وأماكن البداوة، فإن كل انتقاء بالضرورة، يؤثر تأثيراً مباشراً على تشكيل وجدان الطالب، فعصور الضعف تؤثر في لغتها في الأسلوب والموضوعات والفكر، وهي تتباين من عصور القوة، ومن هنا يأتي أهمية إدراك المناهج النقدية المختلفة في نظرنا إلى مناهجنا التعليمية، لتكون الإفادة من المناهج التربوية إفادة موضوعية، فلا يطغى استعمالها على مضمون المادة ورسالتها، ولا تطغى المادة على الإفادة من المناهج العلمية المتفاعلة معها.

فاعلية مناهج اللغة في تنمية لمهارات اللغوية في الابتدائي ومستقبلها تنقسم مناهج اللغة العربية في الابتدائية إلى قسمين: مناهج أولية ومناهج عليا فالأولى تبدأ من الروضة وتنتهي بالصف الثالث، والثانية تبدأ من الصف الرابع حتى

(١) عبد العليم إبراهيم: الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية، ص ٥٤.

(٢) المرجع السابق، ص ٥٣.

السادس، وفي المرحلة الأولى "يكون التأكد على القراءة، فنون اللغة، والرياضيات، وقد أكدت الأبحاث أن إهمال تعليم مثل هذه الجوانب في هذه المرحلة، يسبب خسارة فادحة في المستقبل للطفل والمدرسة والمجتمع" (١).

وفي المرحلة الأخرى "يتم التوسع في المفاهيم الأساسية للقراءة وفنون اللغة.. وفنون اللغة وفنون المسرح يمكن دمجهما (٢) لبعث الحركة في اللغة من ناحية، والفكر المسرحي من ناحية أخرى.

ويمكن أن تنقسم المرحلة الابتدائية من حيث المناهج إلى أربع حلقات (٣) الحلقة الأولى تتكون من (الروضة) والصف الأول، والثانية وتتكون من الصف الثاني والثالثة وتتكون من الصف الثالث والرابع، والرابعة وتتكون من الصف الخامس والسادس.

والرأي الثاني يعد مناسباً للإفادة منه في أوطاننا ولغتنا، فالتنوع والتعدد جزء لا يتجزأ من فنون الواقع واللغة، فتعدد الحلقات وتعدد المناهج، ينسجم معنا في ذلك كل الانسجام. وتعد الحلقة الأولى من أهم الحلقات التعليمية عند الطفل، لأنها الأساس وبدونها يكون الانصداع أو الخوف منه للمراحل التالية، وكلاهما يؤثر بنسب متفاوتة على مستقبل أبنائنا.

وعلى تعدد طرق تعليم القراءة والكتابة في هذه الحلقة، فإن الطريقة التي تجمع مميزات كل طريقة، وتتناشى عيوبها، تعد أصوب الطرق المختارة المنتقاة لمستقبل تعليمي منتم، وليس من الصعوبة علينا جمع محاسن الطرق في طريقة واحدة مزدوجة تعتمد على الإفادة من محاسن الطريقة التركيبية والتحليلية (٤).

(١) د. منصور عبد المنعم، وصلاح عبد السميع: تطوير المناهج (مدخل أخلاقي لمستقبل التعليم)، ط١، مكتبة زهراء الشرق، سنة ٢٠٠٤م، ص ١٨.
(٢) المرجع السابق، ص ١٩، ٢٠.
(٣) عبد العليم إبراهيم: الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية، ص ٧٥.
(٤) المرجع السابق، ص ٧٥-١٤٤.

وفي الحلقة الثانية من المرحلة الابتدائية، تعالج موضوعات القراءة كلها مع ربط ذلك بالكلمات والجمل والأنشيد، ويراعى في هذه الحلقة تقسيم الأطفال إلى ثلاث مجموعات: المجموعة الممتازة، والمجموعة المتوسطة، والمجموعة المتخلفة، ثم يبدأ تعليم القراءة لهذه المجموعات بحيث يناسب حاجاتها ومستوى تعليمها^(١).

وفي الحلقة الثالثة والرابعة، يرتقي التلميذ من مرحلة القراءة الصحيحة إلى مرحلة الفهم والاستيعاب، ومن مهارات القراءة الجهرية إلى القراءة الصامتة، وتهدف القراءة في هذه المرحلة إلى ما يأتي^(٢):

- تنمية قدرة التلميذ على القراءة وسرعة فهمها وجودة نطقه لها وأدائه وتمثيله للمعنى.
- فهمه للمقروء فهما صحيحا وتمييزه بين الأفكار الأساسية والثانوية فيه وتكوين الأحكام النقدية عليه.
- تحصيل المعلومات وتنميتها وتنسيقها.
- أن يقدر التلميذ على تتبع ما يسمعه وعلى فهمه واستخلاص الأفكار الجوهرية منه.
- أن ينمو التلميذ إلى القراءة ويزداد شغفه بها، بحيث يدفعه هذا إلى الاتصال بما ينفعه ويلائمه من الكتب والمطبوعات.
- توسيع خبرات التلميذ وإغناؤها عن طريق القراءة الواسعة في المجالات المتعددة التي يهتم بها تلاميذ هذه (الحلقات) بما يتفق مع طبيعة نموهم، وما يدركونه من مشكلات اجتماعية يواجهونها.
- تنمية التربية الخلقية والنزعة الجمالية لدى التلاميذ وترقية أذواقهم بحيث يستطيعون اختيار الأساليب الجميلة، والتعرف عليها فيما يقرأون.

(١) د. عبد الله عبد النبي أبو النجا: محاضرات في طرق التدريس، ط/جامعة قناة السويس (بدون)، ص ٥٣.

(٢) المرجع السابق، ص ٦٨، ٦٩.

- إقدار التلاميذ على تحليل وتفسير المادة المقروة والحكم عليها وتقويمها، ثم قبولها أو رفضها.

- تكوين عادات القراءة للاستماع أو لقضاء وقت الفراغ أو لحل المشكلات.

- تدريبهم على النقد لكل من الفكرة واللفظ والأسلوب^(١).

وإذا كان النقد الأدبي ضروريا للتلميذ في هذه المرحلة للاستنباط والاستيعاب والفهم والتكوين والتقويم، فإنه يعد ضروريا بالنسبة للاختيارات الأدبية المنتقاة للتلميذ في هذا السن شعرا أو نثرا، لبيان مدى ملاءمتها لعقله من ناحية، وبيان مدى قدرتها على رقي فكره أو انحطاطه.

ثم تأتي بعد ذلك الإجراءات، أو تحليل النص، وبيان مدى قدرته في استنباطه المعنى والفكرة، والوقوف على الأدوات الجمالية الموضحة للمعاني والأفكار والمعللة لحقيقتها.

ولا شك أن مثل هذه الدراسة ضرورية للطفل المصري أو العربي في هذه المرحلة على وجه التحديد، فالوعي العربي قد هوى "في تناقضات جعلت العقل العربي في حالة من التشوش واللامنطقية، بحيث أصبح يقبل القضية ونقيضها دون أن يرى في ذلك ما يستحق القلق، ويبدو أننا على أبواب مرحلة من "السوفسطائية الجديدة"، ولعلنا نذكر أن السوفسطائيين - قبل سقراط كانوا يقودون العقل اليوناني في متاهات غريبة ويستخدمون براعتهم الفائقة في الإقناع وتقديم البراهين بحيث يقنعون العامة بأن الشيء

(١) عن المرجع السابق انظر إلى ما يأتي:

محمود رشدي خاطر وآخرون: طرق تدريس اللغة العربية والتربية الدينية في ضوء الاتجاهات الحديثة، مطابع سجل العرب، سنة ١٩٨٥م، ص ١٦.

- حسن شحاتة وآخرون: تعليم اللغة العربية بين النظرية والتطبيق، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية (بدون)، ص ١٠٩.

- محمد عبد القادر أحمد: طرق تعليم اللغة العربية، القاهرة، النهضة العربية، سنة ١٩٨٤.

- إبراهيم محمد عطا: طرق تدريس اللغة العربية والتربية الدينية، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية سنة ١٩٨٦م.

أبيض وأسود في نفس الوقت، وأنه خطأ وصواب، وأنه خير وشر. وكادت براعتهم وسوء استخدام ذكائهم وثقافتهم أن تؤدي إلى كارثة.. لولا ظهور سقراط!! (١)

ولما للروح النقدية عقل وتذوق في آن، ومن هنا يأتي ضرورة الاحتكام إلى معاييرها ومقاييسها في النصوص النثرية والشعرية موضوع النقد، ولقد اهتمت الدراسات التربوية القديمة والحديثة بإلقاء الضوء على أهمية الأدب وفنونه بالنسبة إلى تلاميذ المرحلة الابتدائية وغيرها من المراحل الأخرى.

ولقد أشار بعضهم إلى أهمية تدريس الأناشيد والمحفوظات وبعض النصوص في هذه المرحلة (٢).

ولقد أشار بعضهم إلى خطورة المسميات "المحفوظات" وعرضها مبينا أنها "تؤكد الاتجاه السلبي للتلاميذ حيال الشعر الذي يقدم لهم وتعثرهم في فهمه وتذوقه، أضف إلى ذلك كله أن النط السائد في مدارسنا هو الحفظ والتلقين والاستيعاب، مما أضعف روح الخلق والإبداع، الأمر الذي يدعونا إلى ثورة فكرية ليحل نمط جديد في مدارسنا هو التفكير والإبداع والتذوق لتشكيل الإنسان المبدع والمبتكر" (٣).

ولست أدري هذه المسميات التي ألقيت على كاهل الشعر والقصيدة حتى غاب الشعر والقصيدة والنثر والأدب عن التلميذ، فإذا كانت المسميات التي يتفاعل معها التلميذ غائبة عن وجدانه ومدركاته الذهنية، فكيف يتحرك إحساسه خطوة واحدة للابتكار أو الإبداع، فالنصوص والمحفوظات والأناشيد، بأسمائها المنعوتة بالروح الشفاهية والمتحفية تقف حجر عثرة أمام نزوع النفس إلى روح الخلق الشعري أو إبداعه، فكيف يفكر أبناءنا في تناول كل هذه التراثيل والترهات القديمة؟؟

(١) رجب البنا: البحث عن المستقبل، الهيئة العامة، سنة ١٩٩٩، ص ٢٢٥، ٢٢٦.

(٢) عبد العليم إبراهيم: الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية، ص ٢٣٣.

(٣) عبد الله عبد النبي أبو النجا: محاضرات في تدريس اللغة العربية، ص ١٩٤.

ولقد أثرت هذه المسميات على الألوان الشعرية، فجاءت الأشعار من أشعار المناسبات، وهو شعر يفتقد كثيرا من الصدق في أدائه، وتبدو فيه العواطف الدينية والوطنية بليدة، وأغلب هذا الشعر مصنوع مفتعل لشعراء مجهولين أو شبه ذلك، ولا نكاد نجد شعرا كثيرا من هذا اللون لكبار الشعراء.

ولا أجد سببا مقنعا لغياب التجارب الذاتية في الشعر عن طلاب الابتدائي، إن غياب هذه التجارب، هو السبب الشرعي في بلادة نزعة الخلق والإبداع عند الطفولة، وكم من مواهب تجلت لهم الشاعرية بروحها، فلم يجد في الزاد الشعري ما يدفع الموهبة خطوة نحو الأمام، بل يدفعها دفعا إلى الخلف، لمخافة التشبه بالمائل أمام أعينهم، فالمبدع من أبنائنا يجد الامتعاض من الشعر والتأفف لدى كل زميل، فلم يؤثر فيها شيئا إلا في التقليدي القادر على إقناصه وحفظه، ويمكن عرض أهم أهداف تدريس الأريج في مدارسنا فيما يلي (١):

- تنمية الذوق الأدبي والوصول بالتلاميذ إلى إدراك نواحي الجمال اللغوي والأخذ بيديهم للوقوف على مصادر هذا الجمال مع تدريبهم على التحليل والنقد حتى يرهف إحساسهم ويرق شعورهم.
- توعيتهم بالفنون والمدارس الأدبية الحديثة ومكان الأدب العربي منها.
- توعيتهم بتطوير الأدب وسلسلة حياته وقصة تطوره، والعوامل التي ساعدت على رقيه والأسباب التي أدت إلى ضعفه في بعض الفترات.
- تعريفهم بالتراث الأدبي للغتهم، بما يشتمل عليه من قيم جمالية واجتماعية وخلقية وظروف تاريخية.
- تنمية قدرتهم على فهم الأفكار التي اشتملت عليها الآثار الخالدة وتذوق ما فيها من جمال.

(١) المرجع السابق، ص ١٩٠، ١٩١، ١٩٢.

- تنمية ميلهم إلى القراءة الحرة الواسعة كوسيلة من أجمل وأنفع وسائل قضاء وقت الفراغ.
- إدراك المعاني والأخيلة التي يشتمل عليها الأدب، فيما يصوره من العواطف البشرية والظواهر الطبيعية والاجتماعية.
- تنمية الذوق والجمال لدى التلاميذ، لأن مزاوله قراءة الأدب الجميل يورث حب الجمال، ويسمو بالذوق الأدبي.

إن الشعور له مكانة خاصة في أدب الأطفال، فهو يحتل من تراثنا منزلة متميزة بين الفنون الأدبية المختلفة، والشعر أكثر قدرة على نقل التجربة نقية النغم الصوتي، والصور الغنية، والنسيج اللفظي، والبناء الفني، والشعر بذلك قادر على تحريك كل مظاهر النشاط الكامنة في روح الإنسان وهو يجعل التلاميذ أكثر وعياً بوجودهم فالشعر، يؤسس خبرة الإنسان، وأفكاره، ومشاعره وأحاسيسه والاستجابة الإيقاعية سمة مميزة للأطفال في مختلف مراحل حياتهم والشعر له تأثير واضح في نفوسهم، لما يتضمنه من إيقاع موسيقي وله موقع متميز من وجدان الأطفال.

فاعلية الدور النقدي في تنمية مهارات الصف الثالث الابتدائي :

الشعر

يقع الشعر المختار في الفصل الدراسي الأول في ثلاثة قصائد، لا تقطف الزهور (ونصائح غالية) و(هيا للنشاط)، والقصائد كلها لشاعر واحد لا تكاد نسمع عنه شيئاً والموضوعات كلها تنشد غاية واحدة، وهي الغاية الخلقية، وهي غاية يتلخص فيها الشعر من كنهه، لأنه يتحول إلى واعظ خلقي، وهي غاية تخص الخطابة فنياً. ولقد نبه علماء التربية على أن درس الأدب، يتحدد الغاية من درسه في النواحي الآتية^(١) :

وأهم القوى الإنسانية التي يتناولها الأدب هي:

(١) عبد العليم إبراهيم: الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية، ص ٢٥٤.

١- القوة الإدراكية.

٢- القوة الوجدانية أو الانفعالية أو العاطفية.

٣- القوة العملية.

وإذا نظرنا إلى الموضوعات التي تناولها الشاعر والأفكار لوجدنا حرص الشاعر على تجسيد الثقافة والمعرفة وربط المتأدب بالحياة لكن القوة الوجدانية لا تساعد على ذلك أحيانا، وبذا ينمحي الأثر العملي للقصيدة، ففي قصيدة (نصائح غالية) يقول الشاعر(١):

لا تشتتر الطعام	من باعة الطريق
وقبل أن تنام	وبعد أن تفيق
استخدم المعجون	ونظف الأسنان
ونظف العيون	والقلب واللسان
ونوع الطعام	فإنه مفيد
من يسمع الكلام	فإنه رشيد

ولا شك أن هذا الأدب يزيد من مدركات الطفل في سلوكه الاجتماعي الخاص لكنه يتنصل تماما من الشعور والإحساس ففقدت هذه المعاني قيمتها العملية عند الطفل والشعر شعور ثم فكر فإن فقد الشعر العاطفة والإحساس فقد الشعر التأثير وإذا طغى سلطان الفكر على العاطفة، فإن الأمر يحتاج إلى التعليل بالوسائل الفنية المختلفة بما يناسب هذا السن، ولم نجد شيئا من هذا الإقناع سوى (فإنه مفيد، فإنه رشيد) وهي ألفاظ معنوية، والألفاظ الحسية أقرب للطفل في هذا السن من المعنوية، كما أن المحسوسات تعمل على جذب الانتباه لدى الطفل، وتوقد الذهن وإثارته وتربط بينه وبين الحياة برباط وثيق.

(١) محمد صلاح فرج وآخرون: اللغة العربية للصف الثالث الابتدائي - الفصل الدراسي الأول، المطابع الأميرية سنة ٢٠٠٩، ص ٤٥.

وتميزت الأفكار بالنصائح المباشرة، وفقدت الأداء غير المباشر، الذي يرقى بالذهن ويسمو بالعقل، ويدفع التلميذ إلى التشوف والرؤى، كأن نجد الأثر الناجم عن إهمال ذلك فيكون مبررا منطقيا للوعي والتأثر، فجاءت النصائح أوامر سلطوية من أعلى إلى أدنى فليس لها أثر لدى التلميذ العاقل إلا النفور، فقد نسي الشاعر من ذاكرته أنه يتحدث مع إنسان له عقل وشعور ووجدان فالنفور من الشعر في هذا الأداء، يبدو غرسا في مهاد جديدة فقد استعمل الشعر أداة للقمع والسلطة، والنفس البشرية في فطرتها تتأبى ذلك.

وهذه الأوامر السلطوية، نجدها في أغلب القصائد التي تناولها نفس الشاعر، ففي قصيدة أخرى يقول الشاعر(١) :

لا تقطف الزهور بوجهها الصبح
كي تصنع العطور وعطرها يفوح

وإذا كان الخروج على الاستعمال اللغوي في الشاعر، قد نجده عند شعراء بعض المدارس الفنية غير التقليدية، فإن هذا الخروج يجب أن يندم إذا كان الشعر لهذا الطفل في هذا السن فالثراء اللغوي الصحيح مقصود لذاته في هذا السن، "فالأناشيد من الوسائل الناجحة في تزويد التلاميذ باللغة السليمة، فتهدب لغتهم، ويسمو أسلوبهم ويزداد الفهم للفصحى" (٢).

لكننا نجد أغلب الشعر يفتقد هذا الحرص سواء في انتقاء الألفاظ أو تناول التراكيب ناهيك عن افتقار الصور الجمالية الموحية، وهي أسمى خصائص الشعر، ففي البيتين السابقين، نجد الشاعر يقول :

لا تقطف الزهور

(١) المصدر السابق، ص ١٩.
(٢) عبد العليم إبراهيم: الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية، ص ٢٣١.

يؤكد صاحب اللسان، أن جمع زهرة، زهر، يقال زهر النبات أي نوره، ويؤكد أيضا أن كلمة الزهور بمعنى تالؤ السراج الزاهر، وزهر السراج يزهر زهورا وازدهر: تالؤاً، وكذلك الوجه والقمر والنجم

قال الشاعر:

آل الزبير نجوم يستضاء بهم
وزهرت النار زهورا: أضاءت (١).

وبذا يكون استخدام الشاعر لكلمة الزهور في غير مكانها، فلا يعقل أنه يريد بها النار أو السراج، وهذا اللون من الاستعمال اللغوي، لا يدخل فيما يسمى بالدلالة العرفية فالدلالة العرفية عبارة عن معاني جديدة على ألفاظ صحيحة في استعمالها، كأن يرتقي لفظ من الحسية إلى المعنوية أو العكس، لكن اللفظ في مكانه لفظ صحيح.

وإذا كانت العيوب في الألفاظ تكون في استعمالها اللغوي، فإن الألفاظ التي لا ترتقي إلى استعمالها الشعري، تكون معيبة كذلك، وهذا ما نجده عند الشاعر في كلمة تصنع في قوله :
كي تصنع العطور وعطرها يفوح

ولو أن الشاعر استخدم كلمة "تفوح" بدلا من (تصنع) لكان أبرع، لأن صناعة العطور ليس من صفات الزهرة، وهذا أيضا لا ينسبنا اللغة الشعرية الراقية من الشاعر في قوله (٢):

تنام في المساء غداؤها الأمل
تقوم في الصباح وتبدأ العمل

فقد وهب الزهر صفة الإنسان، وأمدتها بالحركة والحياة، كما برع أيضا في تعلق التلميذ بالقيم النبيلة في قوله (٣):
نشيدها الحياة وعهدا الوفاء

(١) ابن منظور: لسان العرب، مادة زهر.
(٢) محمد صلاح فرج وآخرون: اللغة العربية للصف الثالث الابتدائي - الفصل الدراسي الأول، ص ١٩.
(٣) المصدر السابق، ص ١٩.

فالشعر لابد أن يكون "أثره قويا في إغراء التلاميذ بالصفات النبيلة والمثل العليا وتقوية شخصيتهم وبعث حماسهم" (١).

ولقد كنا في عمرنا الماضي، وفي السنة الثالثة من المرحلة الابتدائية بالذات نحفظ أشعارا ترسم طريق الحرية في وجوهنا، ولا أكاد أنسى العصفور الذي وقع في الشبكة فيحاول الفرار منها فيقول: آه لو كنت أطيّر.

إن الجملة الشعرية تستفز فينا إرادة الوعي والضمير الوطني الحريكي قوة وحسم وتبدد من طريقنا إليه كل صخور اليأس والخوف والإحباط، وهذا الأداء الشعري الفعال والخيال البديع المنتج، جعل الحرية تجري في عروقنا مجرى الدم في بكورة الحياة، كما أنه لم يذكر معنى شعره لكننا نصاب بالسأم إذا ما وجدنا الكلمة مكتشفة سافرة في قول الشاعر (٢):
هيا للألعاب هيا للحرية

لقد وقعت الألعاب قبل الحرية، واستخدمت الحرية معنى جديدا يختلف عن معناه الأصلي، فالحرية بالأمس كان معناها الذهاب إلى الجد من الأمور، أما الآن فإن معناها هو التخلص من الجد، وهذا الاستعمال اللغوي يضر بالسن المبكرة إلى حد كبير، ومن العجيب أننا نجده بعدها يقول:

نحن الجيل الأجل	نحن الأمل المشرق
أحلى ما في الدنيا	وطني الأسمى دوما
عاشت دوما عليا	مصر الأولى علما

لقد سيطرت عاطفة اليأس على الأفكار الأولية لهذه القصيدة، فجاءت المعاني الوطنية بعدها خالية من كل إقناع إلا من الكذب والبهتان، وهذه الأبيات تذكرني بالمسئول الذي يخلو في عمله من حرص على الوطن، ويكاد يكون دوره الذي يصر على

(١) عبد العليم إبراهيم: الموجه الفني، ص ٢٣١.

(٢) محمد صلاح فرج وآخرون: اللغة العربية - الفصل الثالث - الفصل الدراسي الأول، ص ٦٨.

إظهاره مصورا ذلك بكل دقة، ثم بعد ذلك يدغدغ عواطفنا بالوطنية، وهو يعلم – إن كان لا يعلم أنه يذبح الضمير الوطني في نفوسنا بألية حادة لم يرحمنا بشحذها قبل ذبحه!!
ولقد وقعت كل القصائد الشعرية في نهاية كل وحده، دون أن يطرق الكاتب أو غيره أعيننا بالخروج عن هذا النمط، وتأخير الشعر، وتقديم غيره من الموضوعات بما فيها من أعمال ومهن وحرف محددة، إجهاز على الرmq الأخير من روح الشعر وهو حرفة لا يمكن لأمة أن تتناسلها في يوم من الأيام.

وكما وجدنا ذلك في قصائد الفصل الدراسي الأول، وجدنا أيضا في الثاني، غير أننا

تلمسنا شعورا وطنيا متنوعا في قوله (١):

أرض الحب	وطني وطني
وطن الكتب	وطني الفن
وطن الشمس	وطني وطني
فوق الأرض	وطني الأجمال

فقد ذكر الشاعر رمورا وطنية في الحب والفن والكتب والشمس.

(١) المصدر السابق – الفصل الدراسي الثاني (مطابع زمزم)، ص ٤٧.

المصادر والمراجع

- (١) د. إبراهيم محمد عطا (الدكتور): طرق تدريس اللغة العربية والتربية الدينية القاهرة مكتبة النهضة المصرية، سنة ١٩٨٦.
- (٢) ابن سلام الجمحي (الناقد): طبقات فحول الشعراء، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ٢٠٠١.
- (٣) ابن منظور جمال الدين: لسان العرب، دار المعارف، ١٩٨٠.
- (٤) حسام الخطيب (الدكتور): أي أفق للثقافة العربية وأدبها في عهد الاتصال والعولمة، عالم الفكر ٢٨ عدد ٢ سنة ١٩٩٩.
- (٥) حسن شحاتة وآخرون (الدكتور): تعليم اللغة العربية بين النظرية والتطبيق القاهرة الدار العربية اللبنانية (بدون).
- (٦) حيدر إبراهيم: العولمة وجدل الهوية الثقافية، عالم الفكر، مجلد ٢٨ عدد ٢ سنة ١٩٩٩.
- (٧) دستور جمهورية مصر العربية، ط/الأميرية، ١٩٩٩.
- (٨) رجب البنا: البحث عن المستقبل، الهيئة العامة ١٩٩٩.
- (٩) ساطع الحصري: أبحاث مختارة في القومية العربية، دار المستقبل العربي ١٩٨٥.
- (١٠) صلاح فرج وآخرون: اللغة العربية للصف الثالث الابتدائي سنة ٢٠٠٩.
- (١١) عبد العليم إبراهيم: الموجه الفني لمدرسي اللغة العربية، دار المعارف بمصر، طه ١٩٧٠.
- (١٢) عبد الله عبد النبي أبو النجا: محاضرات في تدريس اللغة العربية، كلية التربية جامعة قناة السويس (بدون).
- (١٣) فاروق حسن ريان (الدكتور): التدريس أهدافه أسسه أساليبه تقويم نتائجه وتطبيقاته عالم الكتب، ط٢، سنة ١٩٧١.

- (١٤) محمد عبد القادر أحمد: طرق تعليم اللغة العربية، النهضة العربية، ١٩٨٤.
- (١٥) محمود رشدي خاطر وآخرون: طرق تدريس اللغة العربية والتربية الدينية في ضوء الاتجاهات الحديثة، مطابع سجل العرب، سنة ١٩٨٤.
- (١٦) منصور عبد المنعم وصالح عبد السميع (الدكتوران): تطوير المناهج (مدخل أخلاقي لمستقبل التعليم)، ط١، مكتبة زهراء الشرق، سنة ٢٠٠٤.
- جمع المحاسن في منظومة واحدة، ودفع العيوب دفعة واحدة، ووضع خطة لتلاشي هذه العيوب وتصويبها في باقي المراحل التعليمية الأخرى^(١). ولا شك أن الطريقة التركيبية التحليلية الوصفية، من أهم الطرق المفيدة في ذلك.
- والببط بين الواقع واللغة، لا يمكن أن يكون في الصورة الساذجة الموجودة في أغلب مناهجنا التعليمية، فالواقع المنتخب ولا الواقع العشوائي والواقع الجزئي لا الكلي، ذلك الواقع الذي يقوم على الانتخاب، فليس كل الحيوانات قابلة للإفادة منها في الأمثلة بالحروف، ولا يمكن أن يكون الأمثلة على مهن بعينها دون غيرها، فيشعر الطفل من ذ اللحظة الأولى بالانفصال والغربة، فإذا كان الهدف من التعليم هو الارتقاء فله وسائله وإذا كان الغرض غير ذلك فله أيضا وسائله.

(١) انظر المرجع السابق ص ٧٥-١٤٤.